مع الفجر

عبدالله عمر خياط

.. تعيش الامة الاسلامية هذه الايام والليالي التي تنزل فيها الرحمة والرضوان من رب العباد على الذين يؤمنون بالله ورسوله وللخيرات هم فاعلون.

ففي هذه الايام الكريمة.. يجدر بنا ان نحرص على التقرب الى الله بكل ما يرضيه سبحانه وتعالى من حرص على الفرائض والتزود بالنوافل والحرص على مساعدة الناس.. فان جزاء ذلك عند الله جد كبير ووفير.. فقد كتب شيخ الاسلام الامام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- في كتابه «احكام تمنى الموت» هذا الحديث الذي اخرجه الطبراني وغيره عن عبدالرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فقال: «اني رأيت البارحة عجبا، رأيت رجلا من امتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاء بره بوالديه، فرده عنه، ورأيت رجلا من امتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلا من امتي احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم، ورأيت رجلا من امتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من ايديهم، ورأيت رجلا من امتي يلهث عطشا، كلما ورد حوضا منع عنه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلا من امتي والنبيون قعود حلقا حلقا، كلما دنا من حلقة طردته، فجاءه اغتساله من الجنابه فأخذه بيده وأقعده الى جنبي ورأيت رجلا من امتي بين يديه ظلمة، وخلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته، فاستخرجاه من الظلمة، وأدخلاه في النور، ورأيت رجلا من امتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم، فقالت: يا معشر المؤمنين، كلموه، فكلموه، ورأيت رجلا من امتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءت صدقته، فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه، ورأيت رجلا من امتي اخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه امره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذاه من ايديهم، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه، وبينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه، فأخذ بيده وأدخله على الله، ورأيت رجلا من امتي قد هوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عز وجل، فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلا من امتي قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه، فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلا من امتي قائما على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلا من امتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا، فاستخرجته من النار، ورأيت رجلا من امتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة، فجاءه حسن ظنه بالله، فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلا من امتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا، فجاءته صلاته علي، فأخذته بيده، فأقامته، ومضى على الصراط، ورأيت رجلا من امتي انتهى الى ابواب الجنة فغلقت الابواب دونه، فجاءته شهادة ان لا إله إلا الله، فتفتحت له الابواب وأدخلته الجنة، ورأيت ناسا تقرضهم الشفاههم، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: المشاءون بالنميمة بين الناس، ورأيت رجالا معلقين بألسنتهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا».

وللترمذي وصححه وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في اول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الاكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج بثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من اقاربه».

وللترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر، وهو لا يحسب انه قبر، فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر».

وللنسائي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نمت فرأيتني في الجنة -ولفظ النسائي: دخلت الجنة- فسمعت صوت قارىء يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذاك البر، كذاك البر، كذاك البر» وكان أبر الناس بأمه».

مسافة

يحيى بن عبدالله المعلمي

شتان ما بين الفصحى الراقية والعامية المتخلفة

كتب شاعر عامي لم يفصح عن اسمه فيما كتبه وان كنت قد عرفت من هو. كتب كلمة بعنوان: شتان بين العرابي والمعلمي في العدد ١١٤٦٩

ولست ادري ماذا يقصد بهذه التفرقة والزعم بالشتان فالاخ الدكتور فهد العرابي الحارثي استاذ جامعي وعضو مجلس الشورى وهو محل الاحترام والتقدير وهو الى جانب مزاياه الشخصية كاتب اديب متدفق وصحفي معروف كان برأس مجلة عتيدة هي من اكبر المجلات السعودية وانثرها شيوعا وذيوعا.

ومع اقراري له بالفضل والعلم والذكاء وحسن الخلق فاني لا ارى وجها للمفاضلة بيني وبينه او زعم الشتان بيني وبينه فكلنا نسير في درب واحد هو درب الثقافة الرصينة والادب الرفيع وكلنا نمجد اللغة العربية ونشيد بها وندعو الى رفع رايتها ونعرف فضلها واهميتها ونحن متفقان في ذلك واني واياه كما قال ابو تمام:

ان يبل مطرف الاخاء قدامنا
نعدو ونسري في اخاء خالد
او يختلف ماء الوصال فماؤنا
عذب تحدر من معين واحد
او يفترق نسب يؤلف بيننا
ادب اقمناه مقام الوالد

وقد كان خلافنا في شريحة يسيرة من شرائح الرأي في الارتياح الى العامية والدعوة الى الموءاخاة بينها وبين الفصحى.

ولعل كاتب الكلمة يكون ادق تعبيرا لو قال: شتان بين الفصحى والعامية فالفصحى لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث العربي المجيد من علوم الدين والحديث والفقه والتفسير والتاريخ والاداب شعرا ونثرا. والعامية بعيدة عن ذلك كله فليس في القرآن الكريم آية بالعامية وليس في الحديث النبوي الشريف جملة عامية وليس في كلام العرب خطبة عامية او مقالة عامية او (قصيدة عامية). ولذلك فشتان ما بين العربية الفصحى والعامية الشوهاء فالفصحى نور وضياء والعامية ظلام وضلال قال تعالى: ﴿قل هي يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ (سورة الرعد الآية ١٦) وقال سبحانه وتعالى: ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث﴾ (سورة المائدة الآية ١٠٠) وقال عز وجل: ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون﴾ (سورة الانعام الآية ٥٠) وقال جل علاه: ﴿وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور﴾ (سورة فاطر الايات ١٩-٢٢) وقال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (سورة الزمر الآية ٩) وقال عز شانه: ﴿ان مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان﴾؟ (سورة هود الآية ٢٤).

حقا صدق الله العظيم لا يستوي دعاة العامية ودعاة الحفاظ على لغة القرآن فلكل وجهة هو موليها وهم يعرفون هذا ولكنهم يغمضون اعينهم ويصمون آذانهم ويستغشون ثيابهم ويقولون: هذا ما وجدنا عليه آباءنا.

وقال الكاتب العامي: ان الذي يجعل المعلمي وغيره يحاربون (الادب الشعبي) هو ما تزخر به ساحته من متابعة تجعل كل من يدخلها مؤيدا او معارضا يدخل دائرة الضوء وللضوء سحر يضعف امامه الجميع.

واقول لقد دخلنا دائرة الضوء منذ زمن بعيد بما منحنا الله من علم وارادة وما وفقنا اليه من خدمة الدين والوطن فلم نعد ممن تستهويهم الاضواء او يلتمسون الشهرة فقد سئمنا الشهرة وسئمناها وملنا الاضواء وملناها، واننا عندما نناصر اللغة العربية وندعو الى التمسك بها ونبذ العامية فمن منطلق شعور ديني تجاه لغتنا ودينا

احسني حتى الفصحى وافسخر انها
لغتي بها جاء الكتاب المنزل

وبها احاديث النبي المصطفى
وبها القرآن ما القرآن ليس يرتل

ويقول الكاتب العامي. فالمعلمي يرى ان خونه عضوا في المجمع اللغوي بجمهورية مصر العربية يجعل منه المحامي الوحيد عن لغة الضاد اللغة التي حفظها الله بالقرآن وهذا الحفظ وصاية بلغي واجبات اي عضو في مجمعات اللغة العربية!!

واقول لهذا الكاتب اولا: اني لست عضوا في المجمع اللغوي بجمهورية مصر العربية. بل انا عضو في مجمع اللغة العربية وهو مجمع للعرب جميعا لا تختص به مصر وحدها ويضم اعضاء من مختلف الاقطار العربية ومن المستشرقين الذين يهتمون باللغة العربية، ومن علماء الاسلام من غير العرب الذين خدموا اللغة في اوطانهم وفي غيرها واكتفي هنا بذكر فضيلة علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر وسعادة الاستاذ شاعر الجزيرة الشيخ عبدالله بن خميس ومعالي الشيخ الاريب الاديب الاستاذ عبدالعزيز الرفاعي رحمه الله لعضويتهم في مجمع اللغة العربية لا تلقى شكوكا على انتمائهم الوطني.

اما عني فان دفاعي عن اللغة العربية لم يكن لانسى عضو في مجمع اللغة العربية. بل ان دخولي الى المجمع كان بسبب ما قمت به من جهاد في سبيل اللغة العربية وما خضته من معارك قلمية تغالبت علي فيها جيوش انصار العامية واستخدمت فيها كل وسائل التحريض والتسفيه والتجهيل حتى وصل الامر الى التهديد بالعدوان ولكن ذلك لم يثنني عن الوقوف بشجاعة وحزم امام حفائل الجهال انصار العامية والمستفيدين منها.

اما القول بان الله سبحانه وتعالى قد حفظ اللغة العربية بحفظه للقرآن الكريم وانه لا حاجة الى ان يقوم احد من البشر بالدفاع عن اللغة العربية فهذا يشبه قول بني اسرائيل لما دعوا للجهاد: ﴿اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون﴾ (سورة المائدة الآية ٢٤)

وان حفظ الله سبحانه وتعالى للقرآن المجيد لا يغنينا نحن المسلمين عن المحافظة على اللغة العربية وصيانتها والدفاع عنها.

وختاما فقد كان من الاولى ان اعرض عن جدال العوام واكتفي بالحوار مع المثقفين امثال الدكتور العرابي الذين يجيدون الحوار ويتمسكون بآدابه ولعلنا نلتزم بذلك والله الموفق..

(*) عضو مجمع اللغة العربية

كيف تحصل على وظيفة

د. عبدالله محمد القوزان *

الحصول على عمل هو هاجس كل شاب وشابة هذه الايام، ومن اجل ان تفرض نفسك على صاحب العمل يرشدك الاستاذ لويس الحاج في المجلد الثاني من دائرة المعارف السيكولوجية الى الاسلوب الامثل لذلك فيقول: تلقيت وانا فتى اسئولة لن انساها ما حييت. فقد خطر لي البحث عن عمل ليلي وانا بعد تلميذ، فتقدمت من بقالين اعرفهم وعرضت على كل منهم خدماتي دون ان احدد نوع هذه الخدمات، فصرفوني بلطف، وكان الجواب واحدا: لسنا بحاجة الى مستخدمين (موظفين). وبعد ايام بلغني ان احد البقالين الثلاثة استخدم (وظف) احد اقراني فاستجمعت شجاعتي ومضيت الى الرجل اساله ما معنى هذا التناقض. فربت على كتفي وقال: عندما جئتني انت تطلب عملا لم يكن لدي عمل اعهد به اليك، اما المستخدم (الموظف) الجديد ويدعى «فريدي» فقد عرض علي فكرة اعجبتني. سألته: وما هذه الفكرة يا ترى؟ اجاب قائلا: لقد اقترح علي ان اوكل اليه مهمة سؤال الزبائن عن حاجاتهم صباح كل يوم، على ان يحمل الى المنازل هذه الحاجات. وقال انه يملك دراجة. مما سهل مهمته الى حد كبير.

ولما كان هذا النوع من الخدمات مبتكرا في مدينتنا فقد استهوتني الفكرة. اما انت فرغم انك تملك دراجة الا ان لدى «فريدي» شيئا لم يكن لديك: كان لديه فكرة.

ويضرب الاستاذ/الحاج مثلا آخر عن الكيفية التي تفرض بها نفسك على صاحب العمل فيقول: حدثني «ماك ليني» صاحب جريدة رياضية واسعة الانتشار تصدر في لوس انجلوس عن خطواته الاولى في ميدان الصحافة فقال:

استهوتني الصحافة ولكن الجريدة الوحيدة التي كانت تصدر في لوس انجلوس كانت تشكو التخمة لكثرة عدد المحررين فيها. فاكتفيت بالتردد على مكاتب هؤلاء المحررين دارسا نواحي نشاط كل واحد منهم فسلاحظت ان الجريدة تهمل الرياضة اهمالا تاما. ولما كان الموسم الرياضي لازال مستمرا قمت بوصف مباراة في كرة القدم بين مدرستين في مقال قصير وعرضت المقال على رئيس التحرير فوافق على نشره وشجعتني موافقته على اقتراح افراد زاوية للرياضة في جريدته فاعجبته الفكرة وعينني محررا رياضيا.

ما سبق عرضه اراد الاستاذ/لويس الحاج ان يقول: ان الحصول على عمل هو في ايامنا هذه مسألة مهارة في اقناع المخدوم بان استخدامك (توظيفك) يعود عليه بفائدة. ولكي يشعر صاحب العمل انك عنصر مفيد ينبغي لك ان تتقدم اليه بفكرة او مشروع يكون له طابع الطرافة، فاذا لم تسعفك مخيلتك في ذلك، عليك ان تتبنى فكرة شخص آخر سمعتها من قبل واجتهد في بسطها على نحو بعيد عن الزخرف بحيث تبدو لمستمعك (صاحب العمل) انها فكرة عملية.

وفي هذا الصدد يذكر المؤلف مثالا قائلا: في مطلع القرن العشرين هبط مدينة نيويورك خياط بولوني (من بولندا) واضعا نصب عينيه غزو الاوساط الراقية بفنه الرفيع. فقد طرق ابواب اشهر محلات الازياء والخياطة، مسلحا بشهاداته، فكان الجواب واحدا: انت ولا شك خياط ماهر ولكن لا عمل لك عندنا.

ولما اعياه البحث قال في نفسه: لم لا اخيط فستانا انيقا لحسناء اختارها واعرض صناعتي بواسطة هذا المثال الحي. لم تكن الفكرة له، بل سبقه اليها الخياط «وورث» في باريس، لكنه لم يجد غضاضة في تبنيها، وبدلا من عرض فستانه في المرابع والصالونات، اخذه الى احد معارض الازياء -وكان مدير المعرض قد رفض خدماته سابقا- فسارع الى التعاقد معه بشروط ممتازة. وما هي الا ثلاثة اسابيع حتى كانت سيدات الطبقة الراقية يعتبرن ارتداء فستان من صنع غير مان البولوني شرطا اوليا من شروط الاناقة.

ويسترسل المؤلف في ارشاده فيقول: اذا كنت ممن يهتمون بعمل معين اجتهد في الاحاطة بدقائقه، وتحدث الى الذين يعنيهم الامر سواء كانوا منتجين او مستهلكين او وسطاء او عمالا. واليك ما فعله «ادوارت تيد» وهو اليوم المدير العام لشركة انتاج «التراكتورات»: لقد عاد تيد من اوروبا في عام ١٩١٨ فوجد ابواب العمل موصودة في وجوه آلاف الشبان وكان التراكتور حديث الاستعمال، فقرر ان يعرض خدماته بصفة كونه عاملا ميكانيكيا (كان اثناء الحرب سائقا ومعاونا ميكانيكيا في فرقة الهندسة) ولكن منتجي التراكتورات وبائعيها رفضوا توظيفه، وكانت حجتهم في ذلك ان الاقبال على منتجاتهم من التراكتورات ضعيف في اوساط المزارعين. وما كان من تيد الا ان قدر ان وراء إحجام المزارعين عن استعمال آلة الحراثة الجديدة مسألة تنتظر من يتقدم لحلها فمضى على الفور يسأل اصحاب المزارع وممثلي المصانع في الارياف عن سبب إحجامهم فقيل له ان الفلاحين وصغار المزارعين يحجمون عن شراء التراكتورات لجهلهم بوسائل صيانتها، فتقدم من احد كبار المنتجين عارضا عليه العمل في مصنعه كمعاون ميكانيكي، على ان يعهد اليه بمهمة الطواف بالمزارع والكشف عن التراكتورات المبيعة واصلاح ما يحتاج منها الى اصلاح على نفقة المصنع حتى يكون لهذه البادرة صداها في نفوس المزارعين ويفضلون انتاج المصنع الذي يعتني بصيانة تراكتوراتهم على ما عداه. وقد راقت هذه الفكرة لصاحب العمل فتبناها. وحصل فعلا ما قدره «تيد» فازداد الاقبال على شراء تراكتورات المصنع.

ويختتم الاستاذ/لويس الحاج مسلسل ارشاداته قائلا: البطالة هي اعقد القضايا الاجتماعية، وعدد العاطلين عن العمل يتزايد يوما بعد يوم بالرغم من نمو الانتاج. ولكن ثمة الاف المراكز التي يمكن ايجادها اذا عرف طالبو العمل كيف يشغلون مخيلاتهم وكيف يفكرون نيابة عن ارباب العمل. ألم يشق التراكتور الطريق امام مئات الشبان بفضل مخيلة ادوارد تيد... يتساءل المؤلف؟ ان التلفزيون والرادار والمنازل الجاهزة ونقل البضائع وغيرها... تفتح امام الشبان الاذكياء مجالات عمل واسعة.

ان ارباب العمل واصحاب المشروعات يحتاجون الى افكار جديدة لكن المشكلة تكمن في ان ملايين الناس ينفقون العمر جامدي الذهن، مع العلم ان كل انسان متوسط الطاقة، عادي الطموح، قادر على اعمال الفكر. لكن المأساة في ان الذين يفكرون قلائل جدا، ذلك لأن اكثر الناس لم يروضوا انفسهم على هذا العمل العقلي.. كما يقول المؤلف... وللجميع تحياتي.

* جامعة الملك سعود -كلية الآداب -قسم علم الاجتماع

أضياء

د. عزيزة المانع

من البريد

القارىء الكريم (متعدد الاسماء) من الرياض:

سررت كثيرا برسالتك واجد اني مدينة لك بالشكر مرات ثلاث: احداهن لتلطفك بتهنئتي برمضان المبارك. والثانية، لمحاملتك الرفيقة باهدائي كتاب Men are from Mars ورغم ان هذا الكتاب من الكتب التي نالت شهرة كبيرة الا انني الى الآن لم اطلع عليه. فشكرا لك على تقديمه لي. اما الثالثة، فهي لمعاودتك الكتابة الي بعد الاحتجاب الطويل.

الاخوات الكريمات في جمعية فتاة ثقيف الخيرية في الطائف:

اشكركن شكرا عميقا صادقا على البطاقة اللطيفة التي تحمل تهنئتكن بهذا الشهر الكريم. واني ابادلكن تلك المشاعر الطيبة والامنيات اللطيفة، وارجو ان نكون دائما على صلة مستمرة.

القارىء الكريم محمد سعيد الغامدي من جدة:

اقدر لك كثيرا هذا الحماس، بل اشكرك على هذه الوقفة الحازمة. لكن من جانبي لا افضل الرد الا عندما يكون هناك شيء جديد يستحق ان يضاف او امر يفصل او يبرر، اما الرد لمجرد الدفاع او العتاب او مقابلة الهجوم بهجوم مثله، فانه اسلوب لا استحسنه. و على كل فان كل كاتب في قلمه ما يعكس نمط تفكيره. فماذا يضيرني انا؟

الاخوان الكرام في ادارة العلاقات العامة في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن:

تصلني منكم بشكل منتظم النشرة الاعلامية التي تصدرها ادارتكم. وهي نشرة تضم الى جانب اخبار الجامعة شيئا من المعلومات الاخرى مما يجعلها الى الصحيفة اقرب. شكرا جزيلا لكم على هذا التلطف بالاتصال المستمر.

القارئات اللاتي رمزن لانفسهن (مجموعة الاجر اليومي) من الطائف:

يعنن الي رسالة يذكرن فيها انهن يحملن الشهادة الثانوية ويعملن منذ خمس سنوات على بند الاجور من فئة أ في احدى المدارس وذلك براتب قدره ١٦٠٠ ريال وهو مبلغ ضئيل لا يكفي للوفاء بمطالب الحياة الضرورية، خاصة اذا تذكرنا ان المرأة مضطرة الى دفع مثل هذا المبلغ او اكثر تكاليف السائق الذي فرض عليها استخدامه ليقوم بايصالها الى العمل. فكيف يمكنها ان تعيش؟ وبالذات من كان وضع عائلها الاقتصادي ليس افضل حالا. وهؤلاء النساء يرجون مني ان انقل معاناتهن عسى ان يكون هناك تغيير لوضعهن. فعسى.

القارىء سليمان عبيد مسلم البلوي من تبوك:

بعث الي رسالة يذكر فيها انه مصاب بضعف شديد في النظر وقد قيل له انه في حاجة الى عملية تشريط يمكن اجراؤها في مستشفى المغربي لطب العيون في جدة، الا انه لا يملك القدرة المالية لدفع تكاليف العلاج. وهو يضع املا كبيرا في ان اتمكن من تسهيل الامر له. وانا من جانبي احيل حالته الى المسئولين في هذا المستشفى الكبير الذين اجدهم جديرين بان يتوقع منهم الاستجابة لهذا المريض المحتاج الى عونهم. ولدي عنوانه وهاتفه ان رغبوا في معاودته، ولا اظنهم الا فاعلين ان شاء الله.

القارىء عبدالله عبدالرحمن الفايز من الرياض:

من حقك ان تعتنق من الافكار ما تشاء، لكن ليس من حقك ان تخطىء كل من لا يعتنق ما تعتنق. ايماني بالحق يقتصر على انهم خلق من خلق الله، يشاركوننا العيش في هذا الكون الذي نحيا فيه، وما يدريك لعلهم يكونون سكانا لاحد الكواكب التي لم نكتشفها بعد؟ اما ما تجاوز ذلك فاني لا اقبله. ولا اظن ان من صالح البشر ان يعطوا للجن كل تلك الامتيازات التي توحي بتفوقهم على البشر، او يخلعوا عليهم من صفات السلطة والقوة ما يجعل الناس يشعرون امامهم بالضعف والهوان. فالله سبحانه وتعالى كرم آدم على ابليس وفضله عليه، فما بال الاحفاد يسعون الى قلب الوضع؟

الى والدي ولي العهد

د. سعود صالح العصيمي

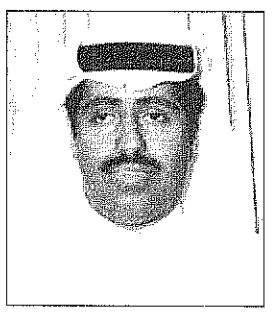

مقدمة:

كأني بالطفل طارق، وهو شاب يافع، يتذكر مأساته وفجيعته بوفاة والده، والتي نشرت في جريدة عكاظ بتاريخ ٢١/٧/١٤١٨هـ.

ثم تلك الرسالة الابوية الحانية من سمو ولي العهد المعظم، والتي نشرتها الصحيفة نفسها في ٢٢/٨/١٤١٨هـ التي خففت مأساة الحادث الاليم.

كأني به ـ بعد أن يكبر ـ وهو يتمنى لو كان مدركا لما حدث ليعبر عن مشاعره الصادقة تجاه هذا الموقف النبيل.

كأني به يود أن يعبر عما يختلج في قلبه الصغير المليء بالأحاسيس التي يعجز اللسان عن وصفها.. كأني به يتذكر المأساة.. ويتذكر الموقف الإنساني الكبير من صاحب القلب الكبير ليقول في رسالته:

الى والدي ولي العهد

تلقيت يا والدي الحبيب رسالتكم النقية الطاهرة، الصادقة، والموقعة باسمكم، بوالدك «والدك.. عبدالله بن عبدالعزيز» وهو امر يمثل الواقع العظيم الذي عليه هذه البلاد الطاهرة.. ولم اكن يا والدي وانا اقرأ رسالتك او بالاحرى تقرأ علي الا مرددا الشكر الجزيل والدعاء لله سبحانه وتعالى أن يديم وجودكم، ويمدكم بالصحة والعافية، ويطيل عمركم ذخرا لهذا الكيان العظيم المبارك.

لقد توفي والدي عبد بن عبدالله الزهراني.. ولم ادرك ماذا تعني الوفاء.. الا ان الامر احدث انقلابا في حياتنا، وفي بيتنا الصغير.. فعم البكاء في اسرتي، ولبست امي لباس الحداد.. واملأ منزلنا ـ يا والدي ـ بالمعزين والمشيعين.. وقالت اختي احلام ان والدنا عيد قد مات، وان هذا يعني اننا لن نراه ابدا.. بكيت.. وبكت احلام.. وبكى معنا اصدقاؤنا الصغار.. وابناء الجيران الذين كنا نلعب معهم.

مات والدنا الاب الحنون، الذي كان محبوبا من الجميع.. ونقل من المنزل الى حيث تم تغسيله.. او ربما تم تغسيله في منزلنا.. ثم نقل لكي تؤدى عليه الصلاة.. وخرج الاقارب والجيران الى المسجد، ثم الى المقبرة حيث شيع الى مثواه الاخير، واهيل عليه التراب.

مات والدي، وعاد جدي عبدالله بن حسين الزهراني، وهو يردد «لا حول ولا قوة الا بالله اللهم اجرنا في مصيبتنا» ويكرر ذكر الله سبحانه، والرضاء بقضاء الله وقدره.. وعاد إلى القرية وتحول بيتنا الى حشد من ابناء القرية ومن الذين يواسوننا في وفاة الفقيد ابي. عرفت يا والدي ما هو الموت، يعني انني لن استطيع رؤية من اختاره الله سبحانه وتعالى للوفاة مرة اخرى في هذه الدنيا، وان هذا امر مقدر ليس لنا الا الصبر والاحتساب والرضا بقضاء الله وقدره.

يوما بعد يوم خف المعزون.. وقل توافدهم على منزلنا.. وبدأنا يا والدي نستقبل من يزورنا من الذين علمت انهم يطالبون بحق وديون كانت على والدي وان علينا ان ندفعها، وان نبحث عما يمكن ان نسدد به هذه الديون.

سمعت امي تحدث جدي.. عن الديون.. وعن الوضع الذي نعيشه..

بكيت مرة أخرى.. وبكت اختي احلام، وخيم الحزن على بيتنا بعد ان كانت ترفرف عليه السعادة والحب والبشر.

وبعد ايام قابلنا احد الصحفيين، ونشر موضوع في الجريدة عن قصتنا، وعن وفاة الوالد، بعدما بأيام اذ بالخبر الذي ينقل لي والمتمثل في رسالتكم العظيمة، التي افتخر بها، والتي تحمل حبكم وانسانيتكم ومواقفكم الابوية العظيمة مع ابناء شعبكم الوفي وفي هذه الرسالة اكرمتموني بهداياكم وحبكم كما بعثتم نصف مليون ريال لتسديد الديون، وبرسالة مليئة بالنبل والكرم والحنان.

تقول لي يا والدي:

«رأيتك مثقلا بهموم تثقل كاهل الرجال الكبار في السن، تمسئلت لي بكلماتك التي أرقتها على الورق رجلا يافعا، اسرعت اليه اقدار الله فصبر واصطبر على امتحان مشيئة الله تعالى» ثم تضيف بحفظك الله «وقدر اسفي وحزني على وفاة والدك بقدر ما انا سعيد ان ارى ابنا صغيرا من ابنائي وقد تمسك بالايمان، وتحزم بالجلد، وهذا ما دفعني الى ان اسعى لابراء ذمته ـ يرحمه الله ـ لكني اوصيك خيرا بأمك، واخوتك. واوصيك بنفسك، الا تضعف امام متغيرات الحياة وتقلباتها فأمامك طريق طويل تتضاءل عثراته امام اصحاب العزائم، فلا تخيب املي فيك، فما كتبت لك اليوم الا لتتذكر في يوم من الأيام انك لم تكن وحيدا في محنتك، فأسرتنا السعودية الواحدة قامت على وحدة العقيدة، اصالة الاخلاق والقيم العربية والاسلامية، فكلنا اهلك وقومك. لذلك احفظ في ذاكرة الطفل في نفسك ما ينهض بعزيمة الرجل فيها، لتخدم دينك، ووطنك، واهلك في يوم يحتاجك فيه رجلا كما فعل والدك ان شاء الله».

ثم تضيف «هذا والله يرعاك ويحميك بلطفه ورعايته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وتوقع يا سيدي بكلمة «والدك.. عبدالله بن عبدالعزيز».

هكذا وبكل لطف وحنان، وصدق، وابوة، وبساطة، وتواضع وخلق نبيل ليس بغريب عليك ايها الرجل الفارس الشهم..

عادت البسمة الى امي..
عادت البسمة الى جدي..
عادت البسمة الى اختي احلام..
وعادت البسمة الى عمي..
وعمت الفرحة قلوبنا..

فرحت يا والدي كربتنا، فرج الله عنك كرب الدنيا والآخرة.

تلطف بنا في مصيبتنا.. لطف الله بك دائما، وامدك بالخير المبارك والصحة الدائمة.

خرجت يا والدي للعب مع اصدقائي..

وانكبت اختي احلام على دروسها بعد ان ازلت الغمة بعمل ترجو فيه الثواب من الله سبحانه وتعالى..

وواصلت امي في صلواتها الدعاء الى الله سبحانه وتعالى بأن يديم الأمن والاستقرار على هذا البلد المعطاء، وان يمد خادم الحرمين الشريفين بالصحة والعافية.. وان لا يريكم يا والدي مكروها في عزيز.

يا سبحان الله.. نحن في قريتنا الصغيرة تلم بنا مصيبة وانتم في عاصمة الخير والنماء والعطاء والشموخ تسمعون بمصيبتنا تتحسسون ابناء شعبكم. تتلمسون همومهم وظروفهم وامورهم الحياتية..

تشعرون بنا.. وتشاركوننا، احزاننا وتعملون بشكل فعلي لتخفيف الالام ومصائب هذه الدنيا وتقلباتها الكثيرة..

هذه هي الاسرة السعودية المباركة.. نسيج واحد.. وجسم واحد.. وترابط اجتماعي يحسدنا عليه الآخرون، الذين يدركون حجم النعمة العظيمة التي ننعم بها.

كيف تخاطبني يا والدي، وانا بهذا العمر وبهذه الظروف، وفي منطقة بعيدة عن المكان الذي تعيش به.

هل هذا الامر يوجد في مثل هذا العصر الذي تتشابكت فيه المصالح والتطلعات المادية والهموم الحياتية..

وكيف بك وأنت قائد عليك ما عليك من هموم السياسة والحكم.. اعانك الله عليها.. تسهر ونحن نيام.. وتعمل لاسعادنا. وخيرنا، ولصالح تقدم وطننا.

انت يا والدي الرجل الذي صنع مجد رئاسة الحرس الوطني.

اسهمت في تعليم مئات الالوف من ابناء وطنك.. نشرت المدارس والتعليم في مدارس الحرس الوطني وقطاعاته، والويته حيث عم التعليم محل الجهل.. والغنى محل الفقر.. والصحة محل المرض.. ثم اكرمتهم بهذه السمعة المباركة التي يفخر بها منسوبو الحرس الوطني..

اقمت لهم مدنا سكنية عظيمة في مختلف مناطق المملكة.. وفرت بها المساكن والمستشفيات والمدارس.

عملت بتوجيهات قيادة هذا البلد على الاستثمار في مجالات بناء الانسان ليس عن طريق بناء المشاريع والمباني والمنشآت فقط، وانما بالاهتمام ببناء الانسان نفسه، والتركيز على ان الحرس الوطني مؤسسة حضارية تبني الانسان اولا ومن منطلق ان الانسان بتعليمه وتدريبه هو الذي من خلاله يكون هذا الانسان بناء وخلاقا في مجتمعه..

اسهمت في نشر الثقافة والفكر، واستيعاب مختلف الاراء في المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الذي غدا ملاذا يأوي اليه المفكرون والباحثون والعلماء، لتبادل الاراء، وبحث ما يهم الامتين العربية والاسلامية، مع التعرف على العقول السعودية المبدعة، التي تتجت من الامن والامان، والوحدة التي اسسها والدكم العظيم الموحد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال سعود ـ رحمه الله ـ تم ابناؤه البررة من بعده.

انني يا والدي ان بدأت اعدد خصالكم الحميدة فسوف احتاج الى كتب كثيرة.

هل اتحدث عن همومكم السياسية، وتغلغل الحس الوطني والاسلامي في نفسكم الابية، لجمع القلوب العربية، وتوحيد الصف العربي ورفع راية الاسلام خفاقة عالية.

هل اتحدث عن انسانيتكم، وكرمكم عندما افتتحتم مراكز الكبد وزراعة الكلى في مستشفيات الحرس الوطني التي استفاد منها الآف المواطنين وحتى المقيمين على السواء.. هل اتحدث عن الآف الضباط، وضباط الصف والافراد، وفي مختلف قطاعات الحرس الوطني والويته الذين يعدون بعطاءاتهم واسهاماتهم درعا عظيما لهذا الوطن، في حمايته وحفظه من الحاقدين والحاسدين..

هل اتحدث يا والدي عن منسوبي الحرس الوطني وهم يسهمون في اعمال الحجيج.. او يسهمون في العطاءات الفكرية والثقافية، ونشر الكتب، وكل ما يخدم المواطن في هذا البلد المبارك.

هل اتحدث يا والدي عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة التي غدت جوهرة المكتبات العربية.

هل اتحدث يا والدي عن دعمكم للنشاطات الرياضية المرتبطة بالفروسية والشهامة والرجولة، كرياضة الفروسية التي غدت في قلوب الجميع محل اهتمام ومتابعة لما تمثله من معاني الاصالة والكرامة، والمحافظة على تراثنا الحبيب.

هل اتحدث يا والدي عن كلية الملك خالد العسكرية، تلك الكلية الاكاديمية التي خرجت الآف الضباط، يتوزعون في مختلف قطاعات الحرس الوطني.. تبني العقول.. وتنشر البحث العلمي.. وتقوم باسهامات عظيمة.. حتى اصبح الدخول اليها حلما لا يظفر به الا الطالب المجد القادر، بل ان الطلبة ليترتبون تخصصا علميا هاما كالطب ويتجهون لهذه الكلية الفنية.

كثيرة جدا يا والدي افضالكم، وعطاءاتكم لهذا البلد.. وليس بوسعي تعدادها لانها مسجلة بمداد من ذهب في تاريخ هذا البلد المبارك..

اما رسالتكم الصادقة لي، فهي في قلبي.. وفي جوانحي.. ستظل في ذاكرتي، وفي وجداني.

اقرأها واتأملها.. وافكر فيها، واتعايش معها.. ثم ادعو لكم، واطلب من الله ان اكون عند حسن ظنكم..

سأكبر يا والدي باذن الله.. وستكون صعبي هذه الرسالة استوعبها عاما بعد عام، حتى انهي الثانوية العامة، ثم التحق بكلية الملك خالد العسكرية لأكون ضابطا في الحرس الوطني، واحد رجالات هذا الوطن الذين يخدمونه بالغالي والنفيس، ويضحون بأرواحهم في سبيل است